دعوة للمشاركة واقتراح للاستفتاء حول صورة المستقبل كما تعكسها

كتب اللغة العربية المدرسية في فلسطين

مالك الريماوي

لكي يكون لنا دور في إبداء الرأي فيما يقدم لأبنائنا، ونناقش الهوية المستقبلية التي تعد لهم من خلال منهاجنا الفلسطيني، فإن علينا المشاركة بفعالية في حوار مجتمعي حول هذا الأمر. ومن هذا المنطلق ومن منطلقات أخرى منها: أنه في هذه الظروف الصعبة يطل علينا منهاج الصف التاسع ومنهاج الصف الرابع، ونسمع الكثير من المختصين والعاملين في الحقلين التربوي والثقافي يؤكدون أن المنهاج لا يبشر بتعليم عصري ولا بمستقبل واعد. وبعد تفكير، وجدنا أنه قد كُتِب في هذا الموضوع في السنوات السابقة. ومع ذلك، فإنَّ منهاج السنوات السابقة أفضل في بعض الجوانب من منهاج السنة الحالية، سواء على مستوى التغييرات التي تمَّ إجراؤها على الكتب السابقة للصفوف «السادس، والسابع، والثامن»، أو بخصوص الكتب الجديدة للصفين الرابع والتاسع، وهذا يؤشر على مجموعة من القضايا:

1- أن القائمين على التخطيط وبناء المنهاج لا يطَّلعون على ما يكتب أو لا يأخذون به.

2- أن تجربة بناء المناهج لا تخضع لعملية مراكمة ومراجعة.

3- أن عملية التخطيط والبناء لا تسترشد برؤية معرفية أو فلسفة بيداغوجية تقوم على تقديم نصوص ثقافية تساهم في تطوير قدرات الطلاب، وتساعدهم على تكوين رؤية عصرية للعالم والحياة، وتمكنهم من الانخراط في عملية بناء المعرفة لا الاكتفاء بجمع فتاتها عن موائد نصوص سطحية، لا تحمل رؤى ولا توفر فرصاً للتفكير والتأمل.

ولذلك ارتأينا البحث عن سبل جديدة لتفعيل الحوار البناء بخصوص المنهاج، من خلال جعل ما يقدم لأطفالنا موضع تفكير ونقاش من قبل أكبر عدد ممكن من الأفراد والمؤسسات، لعل ذلك يحقق نتيجة ما على صعيد تقويم هذا المنهاج، ما قد يدفع إلى عمل مجتمعي «مؤسساتي وفردي» يطالب بتطوير المناهج وتصويب عملية بنائها.

ما دفعنا إلى البدء في طرح الكتب المدرسية أمام الكتَّاب والمختصين والمعلمين والطلاب يكمن في إثارة أوسع نقاش وحوار ممكن لتعميق مسألة الاهتمام بما يقدم لأبنائنا في المدرسة، وتفعيل آليات الضغط المجتمعي على صناع السياسات التربوية للإصغاء لروح العصر، وللكشف عن خطورة الكتب المدرسية بشكلها الحالي على المستقبل الثقافي والعلمي الإبداعي للأجيال القادمة من شعبنا. ومن أجل هذه الغاية، أرسلنا رسالة دعوة للكتابة عن ما تتضمنه كتب اللغة العربية للصفين التاسع والرابع إلى مئة شخص، منهم الكاتب، والشاعر، والتربوي، والمعلم، واقترحنا عليهم مقاربة الكتب ومحتوياتها من مختلف الزوايا والمداخل الثقافية والإبداعية والتربوية، ونحن نؤكد الدعوة مرة أخرى، ونعلن لقرائنا الأعزاء أن

نشرة «رؤى تربوية» ستنشر كل المساهمات الخاصة بتقييم ومناقشة وتطوير الكتب المدرسية بشرط توفرها على شروط النقد البناء والتقويم الهادف والإيجابي، لأن الغاية هي العمل للارتقاء بالحالة التعليمية الفلسطينية، ولذلك، ومن المنطلقات السابقة، نتقدم بمجموعة من المحاور التي قد تسهل وتؤطر عمليات التقييم والمراجعة من جهة، وتنوع المقاربات وتحفظ فرادة الاهتمام والاختصاص من جهة أخرى:

1- نوعية النصوص ومستواها، ودرجة الإبداعية فيها، وقدرتها على تمثيل المشهد النصي الذي تنتمي إليه، سواء أكانت شعراً أم قصةً أم مقالة.

2- القيم المضمرة والمعلنة في المنهاج بخصوص قضايا الهوية والحريات والحقوق وقضايا المرأة والطفل والشعوب المضطهدة ومعضلات التسلط والاستغلال.

3- بنية النصوص وفضاؤها المعرفي، وهل يتسع حيزها الدلالي وبنيتها النصية للتساؤل والتأمل والانخراط في عمليات بحث واستقصاء معرفي.

4- التعدد المعرفي والتنوع في الأنماط والبنى النصية والمعرفية والأجناسية.

5- واقع النصوص ومقدرتها على تمثيل المشهد الحضاري العالمي، يعني هل تم تقديم نماذج تعكس الثقافة العربية وثقافات الشعوب الأخرى من مختلف الحضارات والقارات، أم وقع الكتاب في شرك المركزيات السائدة «الأمريكية والأوروبية».

6- طريقة مقاربة النصوص تعليمياً، هل تلامس احتياجات واهتمامات الطالب؟ وهل تناسب الوضع المعرفي؟ وهل تستند إلى أن المعرفة منظومة وليست معلومة وأنها تبنى ولا تنقل؟

7- المقترحات التعليمية هل هي على شكل أنشطة قابلة للأجرأة، والعمل، سواء الجماعي أم الفردي؟ وهل تسمح للطالب بالانخراط فيها بشكل منتج؟ وهل يتم من خلالها تجاوز الخطابات الصفية المستهلكة المبنية على السؤال والإجابة، أم ما زالت أسيرة لهذا التوجه؟

8- الأسئلة والمداخل، هل هي متنوعة من حيث البنية والنمط وتساهم في البحث والاستقصاء، أم أنها أسئلة تذكُّر لا أسئلة تأمل وتفكير وتخيل؟

9- أساليب التعبير وتقنيات الكتابة المقترحة، هل تساهم في تطوير قدرات الطلاب ومهاراتهم الكتابية وكفاياتهم اللغوية والحياتية؟ وهل توظف كسياقات لبناء المعرفة وإنتاج المعنى وطرح القضايا أم أنها ليست أكثر من تقليد؟

الغاية هي العمل للارتقاء بالحالة التعليمية الفلسطينية، ولذلك، ومن المنطلقات السابقة، نتقدم بمجموعة من المحاور التي قد تسهل وتؤطر عمليات التقييم والمراجعة من جهة، وتنوع المقاربات وتحفظ فرادة الاهتمام والاختصاص من جهة أخرى

نعتقد أنك تشاركنا الاعتقاد بأهمية الموضوع، حيث «ما نحن إلا ثقافتنا»، وبالتالي فنوع الثقافة المنهاجية والمدرسية ستحدد في النهاية مستقبلنا ومصيرنا، ونعتقد أنك ستكتب لنا وجهة نظرك بخصوص المنهاج بصفتك أباً أو أماً لطلاب، أو بصفتك كاتباً وأديباً أو بصفتك معلماً أو طالباً، أو بصفتك مختصاً في حقل التربية أو التعليم أو الكتابة للأطفال أو ناشطاً في مجال الحقوق والحريات، ونعتقد أنك ستكتب ضمن المحاور التي ذكرناها، أو ضمن المحاور التي لم نذكرها، وترى أن من الضروري طرحها للبحث والنقاش.

وضمن هذا التوجه شاركنا العديد من المهتمين والمهتمات بمقاربات وكتابات ننشرها ضمن هذا الملف، ويتوجب علينا ونحن نشكر لهم مشاركتهم أن نعد باستكمال متابعة عملية التقييم من جوانب أخرى، ولمباحث ومواد أخرى، ونؤكد أننا سننشر ما يصلنا في المستقبل، ولا يسعنا في النهاية إلا الاعتذار لأصحاب المساهمات التي لم تنشر في هذا العدد، ونعد بنشر كل المساهمات المستوفية لمعايير الجودة والصلاحية.